

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومنه المعونة والتسديدُ

"هَمَّةٌ عَجُوزٌ"

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله، وفقَّ مَنْ شاءَ مِنْ عِبَادِهِ لَطَاعَتَهُ وَتَقْوَاهُ؛ وذلكَ بِمَحْضِ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَضَلَّ قَوْمًا عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؛ وذلكَ بِمَحْضِ عَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ! سُبْحَانَهُ! لَهَ الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَهُ الشُّكْرُ بِالْإِيمَانِ، وَلَهُ الْمِنَّةُ بِالْقُرْآنِ وَبِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً حَقٍّ وَمَنْطِقَ صِدْقٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، فَأَظْهَرَهُ، وَأَيَّدَهُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَسَدَّدَهُ، فَكَانَ بِالْحَقِّ قَائِمًا، وَبِالشَّهَادَةِ صَارِمًا؛ فَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ هِمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا. أَيُّهَا النَّاسُ: الْيَوْمَ مَعَ هَمَّةٍ عَجُوزٍ؛ هذه العجوزُ فاقتَ بِهَمَّتِهَا هِمَمَ الرِّجَالِ وَالشَّبَابِ، هذه العجوزُ قَصَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَهَا بِمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ؓ: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ أَعْرَابِيًّا، فَأَكْرَمَهُ [الأعرابيُّ]، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ أَنْتَا»، فَأَتَاهُ [وَبَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ]، قَالَ لَهُ: «سَلْ حَاجَتَكَ». [النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِلأعرابيِّ: «سَلْ حَاجَتَكَ»، وَالنَّبِيُّ قَادِرٌ -بِمَا آتَاهُ اللَّهُ- أَنْ يُعْطِيَ الأعرابيَّ سُؤْلَهُ، وَهَذِهِ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ]، فَقَالَ الأعرابيُّ: نَاقَةٌ نَرَكْبُهَا، وَأَعْنَزَا يَحْلُبُهَا أَهْلِي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَعْرَابِيٌّ، سَلْ حَاجَتَكَ»، فَقَالَ الأعرابيُّ: نَاقَةٌ نَرَكْبُهَا، وَأَعْنَزَا يَحْلُبُهَا أَهْلِي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَعْرَابِيٌّ، سَلْ حَاجَتَكَ»، فَقَالَ الأعرابيُّ: نَاقَةٌ نَرَكْبُهَا، وَأَعْنَزَا يَحْلُبُهَا أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعَجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: «إِنَّ مُوسَى لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؛ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ عِلْمَاؤُهُمْ: إِنَّ يَوْسُفَ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ؛ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نُخْرِجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا. قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟ قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَبَعَثَ إِلَيْهَا مُوسَى، فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: ذُلِّيْنِي عَلَى قَبْرِ يَوْسُفَ. قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. قَالَ: مَا حُكْمُكَ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَكَّرَهُ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ "أَعْطِهَا حُكْمَهَا"، فَاَنْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةِ: مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَأَنْضَبُوا، قَالَتْ: اخْتَفِرُوا وَاسْتَخْرِجُوا عِظَامَ يَوْسُفَ. فَلَمَّا أَقْلَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ إِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ» [أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» ٢٣٦/١٣، وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» ٤٣٩/٢ بِسَنَدٍ حَسَنٍ].

هذه هي هَمَّةُ هذه العجوزِ، لَمْ تَرْضَ إِلَّا بِالْجَنَّةِ؛ فَهَنِيئًا لَهَا تَوْفِيقُ اللَّهِ لَهَا، وَهَنِيئًا لَهَا الْجَنَّةُ!

أَيُّهَا الْعِبَادُ: الْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ هِيَ صِفَةُ أَنْبِيََاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]، فَالْأَيْدِي: الْقُوَّةُ فِي تَنْفِيزِ الْحَقِّ. وَالْأَبْصَارُ: الْبَصَائِرُ فِي الدِّينِ. فَوَصَفَهُمْ بِكَمَالِ إِدْرَاكِ الْحَقِّ وَكَمَالِ تَنْفِيزِهِ؛ فَلَهُمْ قُوَّةٌ وَهَمَّةٌ، وَعَزِيمَةٌ عَالِيَةٌ مَعَ بَصِيرَةٍ فِي الدِّينِ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ هُمْ أَشْرَفَ الْخَلْقِ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وهذا الصِّنفُ أصحابُ الهمةِ العاليةِ، والعزيمةِ الرَّاشدةِ، والبصيرةِ النَّافذةِ = هم من يصلحُ للإمامةِ في الدِّينِ؛ قال اللهُ العليمُ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ٢٤]، فأخبر - سبحانه وتعالى - أنه بالصَّبرِ واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدِّينِ.

النَّفوسُ العَلِيَّةُ، صاحبةُ الهِمَمِ العاليةِ لا تَقْنَعُ بغيرِ معالي الأمور، وإنَّ من أعظمِ معالي الأمورِ التي تُطَلَّبُ: الجنَّةُ، نسألُ اللهَ الجنَّةَ.

جاء في «صحيح البخاري» أنَّ أُمَّ الرُّبَيْعِ بنتَ البراءِ - وهي أُمُّ حارثةَ بنِ سُرَّاقَةَ - أتتِ النَّبِيَّ ﷺ فقالت: يا نبيَّ الله، ألا تُخَدِّثُنِي عن حارثةَ - وكان قِتْلَ يومٍ بدرٍ، أصابه سَهْمٌ غَرَبٌ -؛ فإنَّ كانَ في الجنَّةِ صَبْرْتُ، وإنَّ كانَ غيرَ ذلكَ اجتهدْتُ عليه في البكاءِ. قال: «يا أُمُّ حارثةَ، إنَّها جَنَانٌ في الجنَّةِ، وإنَّ ابْنَكَ أصاب الفردوسَ الأعلى».

وعن أُمِّنا عائشةَ - رضي اللهُ عنها - أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّةِ مئةَ درجةٍ، أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيلِ اللهِ، ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بينَ السَّمَاءِ والأرضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهُ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومنه تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» [أخرجه البخاري].

أَيُّهَا النَّاسُ: لا يكفي الهمةُ العاليةُ أن تتوفَّرَ في الشَّخصِ، بل لا بدَّ من العملِ والجِدِّ والاجتهادِ لبلوغِ المراتبِ؛ فإنَّ معالي الأمورِ لا يَنَالُهَا إِلَّا الجادُّ العاملُ، الباذِلُ الصَّابِرُ.

جاء في «الصَّحِيحَيْنِ» من حديثِ ربيعةَ بنِ كعبٍ الأَسْلَمِيِّ - رضي اللهُ عنه - أَنَّهُ قال: كُنْتُ أُبَيِّتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجنَّةِ. قال: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قال: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». فهذا الحديثُ قد مُلِيَ بالفوائدِ والعِبَرِ، ومنها عِظَمُ هِمَّةِ كَعْبٍ وَعُلُوُّ قَدْرِهَا؛ فَقَدْ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَعْظَمَ ما يَطْلُبُهُ الْمُتَعَبِّدُونَ، وَيَسْأَلُهُ الرَّاعِبُونَ، وَيُرْغَبُ فِيهِ الْوَاعِظُونَ، وَيَبْكِي لِبُلُوغِهِ الْقَائِمُونَ، وَيَعْمَلُ لَهُ الْعَامِلُونَ؛ إِنَّهَا الْجَنَّةُ دَارُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، بَلْ لَيْسَتْ الْجَنَّةُ فَحَسْبُ؛ بَلْ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ: مُرَافَقَةُ خَيْرِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيهَا، فَهَذِهِ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَنَفْسٌ تَوَاقَّةٌ، لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِحُطَامِهَا، وَلَا آثَرَ الْفَائِي عَلَى الْبَاقِي، وَهَذِهِ هِمَّةٌ وَعَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ أَهْلِ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ.

وفي هذا الحديثِ، لَمْ يَعِدْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ، بَلْ أَمَرَهُ بِالْعَمَلِ وَقَالَ لَهُ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى.

أما بعد؛ **فيا عباد الله:** كتاب ربنا - سبحانه وتعالى - مليءٌ بالنصوص التي تحثُّ على الهمة ومعالي الأمور، وتنهاي عن رديئها وسفاسفها؛ وذلك من خلال الحضي على العمل لهذا الدين، والوعود بالنصرة والتمكن، وبالمغفرة والتجاة من نار الجحيم، ومن خلال الأشخاص الذين يحملون مبدأ هم لهذا الدين، ثم العمل له؛ وعلى رأسهم أنبياء الله - عليهم السلام -، والمصلحون من بعدهم؛ بل تعدى هذا الأمر إلى بعض المخلوقات غير بني البشر ممن يحمل هم الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه؛ كالهدهد مثلاً.

فهذه همومٌ وهمٌ تعلقت بالقلوب، فأصبح العمل نتاجاً وميداناً لها، ومن ذلك: أن قال الله ﷻ في كتابه عن نبي من أنبيائه كان ذا هممة عالية، ونفس صابرة رضيّة، وكان أول نبي ورسول في بني البشر؛ حيث إنَّ الناس كانوا على التوحيد لمدة عشرة قرون، فدخلت إليهم فتنةٌ غيرت التوحيد، فكانت همته - عليه السلام - منصرفةً إلى تصحيح التوحيد، ودعوة الناس إليه، فكان يحدث نفسه بدعوة قومه بكل طريقة يحملها هذا الهمُّ عليها؛ وذلك لتخليصهم من هذا الظلم العظيم، فظلَّ تسعمئة وخمسين سنة يدعوهم للتوحيد، واستخدم جميع الوسائل التي يمكنُ له فعلها؛ من الدعوة الفردية، والجماعية، والجهري والإساري، بالليل والنهار، وذلك مع صبرٍ وجلدٍ واحتسابٍ، يحدوه في ذلك الهمُّ والهمةُ العالية، وفي ذلك قال الله ﷻ على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ۖ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۖ﴾ [نوح: ٥-٩].

اللَّهُمَّ ارزُقنا نفوساً للحقِّ تواقفةً، وللبِرِّ سبّاقةً، واجعلنا برحمتك للمتقين إماماً.

اللَّهُمَّ إِنَّا نعوذُ بك من مُضِلَّاتِ الفتنِ، ما ظهر منها وما بطن.

اللَّهُمَّ أَحِنَّا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحِقنا بالصالحين.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ آخِرَ كَلَامِنَا مِنَ الدُّنْيَا: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِهْ إلينا الكُفْرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلنا من الراشدين.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحقَّ حقاً وارزُقنا اتِّباعه، وَأَرِنَا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتنابه، ولا تجعله مُلتبساً علينا فنضِلَّ، واجعلنا للمتقين

إماماً.

اللَّهُمَّ احفظنا بالإسلامِ قائمينَ وقاعدينَ وراقيدينَ، ولا تُشْمِتْ بنا أعداءَ ولا حاقدينَ، واجعلنا من أوليائك الصادقين.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ وانصُرِ المسلمينَ، وأذلَّ الشُّركَ والمشركينَ، ودمِّرْ أعداءَكَ أعداءَ الدينَ، واجعلْ هذا البلدَ آمناً

مطمئناً وسائر بلادِ المسلمين.

اللَّهُمَّ انصُرْ إخواننا المجاهدينَ في كلِّ مكانٍ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ أقدامَهُم، ووَحِّدْ صفوفَهُم، وسدِّدْ رميَهُم، واحفظْ قادَتَهُم،

وكنْ لهم مُؤَيِّداً ونصيراً، ومُعِيناً وظهيراً.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ؛ فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.
أَعَدَّهَا

الفقيه إلى عفو سيده ومولاه

د. ظافر بن حسن آل جبعان

www.aljebaan.com

الجمعة ٣/٣/١٤٤٤ هـ